

# علة الضعف في سياستنا الخارجية

نشرت أمس المذكرات التي قدمتها الحكومة السورية الى حكومتي بريطانيا والولايات المتحدة بشأن فلسطين<sup>(١)</sup>. وبقيننا ان كل عربي طالع هذه المذكرات خرج منها بالشيء الكثير من الشك واليأس لا لماخذ يأخذها على نصّها أو روحها أو ما تضمنته من حجج أو من عرض واف لمطالب العرب وحقوقهم الصريحة العادلة. بل ان مبعث الشك واليأس هو سياسة الاقتصار على المذكرات، وسياسة التصريحات التي لا طائل تحتها، والقرارات التي لا يتبعها تنفيذ.

يتساءل كل عربي: لماذا تأتي أعمال الحكومات العربية على غير ما يجيء في تصريحاتها وأقوالها وتعهداتها؟ لماذا يبتلى العرب بهذا العجز الواضح المعيب. فلا يكون لأقوالهم حرمة، ولا لقراراتهم قوة مؤيدة. ولماذا تكون هذه الملايين العديدة من العرب عاجزة عن حل مشاكل - هي بالرغم من صعوبتها - غير مستحيلة الحل، وان أقتضى ذلك آخر الامر أن تلجأ هذه الملايين الى استعمال حقها المشروع في الدفاع عن النفس، ببذل الانفس واقتحام ساحة النضال الدموي؟ وهو يتساءل أيضاً: لو كانت قرارات الدول العربية جديّة صادقة. فطبقت المقاطعة الاقتصادية على الصهيونيين وعلى الدول التي تؤيدهم هل كان يبقى في فلسطين خطر صهيوني، وهل كان يبقى في العالم دول تستهين بارادة سبعين مليوناً من العرب يعيشون في أرض لا يمكن للعالم أن يستغني عن خيراتها، أو يستخف بموقعها الجغرافي الممتاز؟ ولكن العربي اذ يطرح على نفسه هذه الاسئلة يعرف أيضاً ان الجواب الوحيد لها

(١) افتتاحية جريدة «البعث»، العدد ٦ الصادر في ١٠ تموز ١٩٤٦.

كلها هو هذه الحقيقة المؤلمة التي تكشف عنها الحوادث والتجارب وتزيدها وضوحاً يوماً بعد يوم: ان الحكومات العربية لاتمثل هذه الملايين العديدة من الشعب العربي. ولا تعتمد على قوتها ولا تستند الى إرادتها وتأييدها، ولاتستطيع أن تحشد كل ما لهذه الملايين من قوة، وأن تستخرج جميع ما فيها من امكانيات.

والعربي يعرف بوضوح متزايد يوماً بعد يوم ان علة هذا التناقض بين الشعب العربي وحكوماته هي ان هذه الحكومات كلها تخرج من طبقة واحدة فاسدة، الطبقة الاقطاعية الاستثمارية أسيرة المصالح الاقتصادية والتزعم الاجتماعي القطري المصطنع الكاذب. وطبيعي ان تكون مصلحة هذه الحكومات، ممثلة الطبقة الاستثمارية، نقيض مصلحة الملايين من الشعب العربي الذي تستثمره دون ما رحمة ولا حياء. لذلك كان مقدراً عليها ان تخشى الشعب بقدر ما تخشى الدول الاستعمارية التي تنافسها على استعباده واستثماره. وهي ترغب صادقة في تخليص البلاد العربية من كل استعمار أجنبي. لكي يزول أمامها كل منافس لتحكمها واستثمارها، وهذا هو ما تسميه بـ«وطنيتها». لكنها بحكم وقوعها بين عدوين خطيرين: الشعب والاستعمار الاجنبي، وبحكم ضعفها وقلة وسائلها. مضطرة الى المساومة ومحاولة التوفيق. والتوفيق بين موقفها من الشعب وبين موقفها من الدول الاجنبية لايعني الا شيئاً واحداً وهو: انه سيبقى دوماً لتلك الدول الاستعمارية يد ونفوذ في شؤون العرب وبلادهم، ولن يُحل هذا التناقض الا متى وقف العرب وحكوماتهم في صف واحد ضد الاستعمار. اي متى توصل العرب الى التخلص من حكوماتهم الحاضرة واختيار الحكومات التي تمثل مصلحة الشعب لانها تخرج من الشعب.

على ضوء هذه الحقيقة يستطيع العرب أن يدركوا منطق السياسة الخارجية التي تنتهجها الحكومات العربية في الظرف الحاضر، ولا يستغرب أن يكون منطقاً معكوساً متناقضاً اذا عرفنا انه تعبير صادق عن وضع تلك الحكومات المعكوس المليء بالتناقض. فالدول التي تشكل اليوم أكبر عشرة في طريق حرية العرب وسلامة أرضهم ونمو قوميتهم هي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة. والسياسة التي لها وزنها الثقيل في الضغط على مقدرات العرب هي بصورة خاصة سياسة الدولتين الانكلوسكسونيتين بريطانيا

والولايات المتحدة . وليس هذه السياسة ما يتكافأ معها في القوة والتأثير . ويشكل معدلاً لخطرها الا سياسة دولة كبرى تقف للاستعمار البريطاني والامريكي بالمرصاد هي دولة الاتحاد السوفيتي . وان من أبسط القواعد السياسية ومن أولى الواجبات القومية التي تترتب على حكومات واعية لمصلحة بلادها ، حرة في تقرير موقفها السياسي الدولي هي ان تستعين على أعدائها بأعداء أعدائها ، او على الاقل ان تهدد بهم وان تهتم بمكافحة العدو الجاثم على قسم كبير من أراضيها . والعدو المعتدي على صميم قوميتها - كما هي حال الدول المؤيدة للصهيونية ، لا ان تكافح عدواً شره بعيد ، وخطره غير أكيد .

ولكن نظرة سريعة يلقىها العربي على حكومات بلاده ، وعلى الاسس الواهية والاضاع الرثة البالية التي تقوم عليها تلك الحكومات العائشة من فقر ملايين العرب ، من جهلهم واذلالهم ، تكفي لافهامه سر التناقض الذي يجعل السياسة العربية الحاضرة تحارب . من جهة الاحتلال البريطاني في مصر والعراق وشرق الاردن ، وتحارب الاحتلال البريطاني والتدخل الامريكي الداعمين لعدوان الصهيونية في فلسطين ، وتسير ، من جهة اخرى في ركاب السياسة التي تحاربها ، وتمد يدها الى تركيا بلا مقابل ولا ثمن متناسية لواء الاسكندرون وواجبها في السعي الى استرداده في هذا الظرف المؤاتي . أما التذرع بخطر الشيوعية فهو لغو ومغالطة لان التعاون بين الحكومات العربية وبين الاتحاد السوفيتي لا يستوجب فتح البلاد لغزو الشيوعية بل على العكس ينقذنا من وساطة الحزب الشيوعي . ولنقل أخيراً ان الحكومات الرجعية الاستشارية التي مني بها الشعب العربي في جميع اقطاره هي في الواقع أكبر دعاية للشيوعية وأقوى دعامة لتركيزها في أرضنا . وان الحكومات الصادرة عن الشعب الممثلة لمصلحته ، هي وحدها التي تقدر على درء خطر الشيوعية والصمود لها صموداً منيعاً جباراً .

لن تحقق أهداف العرب في تحرير بلادهم من الاستعمار الاجنبي وفي المحافظة على كيانهم المستقل الا اذا كانت لهم سياسة خارجية حرة تستلهم في نهجها المصلحة العربية وتضع هذه المصلحة فوق كل شيء ولن يكون للعرب سياسة خارجية حرة ما دام لهم حكومات لاتستطيع ان تعتمد على تأييد الملايين من أفراد الشعب العربي لان

مصلحتها هي نقيض مصلحة هذا الشعب .

ميشيل عفلق

١٠ تموز ١٩٤٦